مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العلاج النفسي بين الممارسة العلمية والممارسات الدينية

Psychotherapy between scientific practice and religious pratices

د. بن عامر زكية*

جامعة د. مولاي الطاهر – سعيدة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/09/05 تاريخ القبول: 01/05 /2023

ملخص:

يعدّ موضوع العلاج النفسي من المواضيع التي اهتمّ بها العديد من الأنثروبولوجيين، وذلك راجع للعلاقة الوطيدة بين المرض النفسي والعوامل المجتمعية من جهة والعوامل الثقافية والدينية من جهة أخرى، ذلك لأنّ العلاج النفسي مرّ أوّلا بما يسمّى بالطب الشعبي، والذي يضمّ عددا من المعتقدات، الطقوس والممارسات الخاصّة بالعلاج والمرض النفسي، هذا الأخير الذي أصبح له عدّة مفاهيم بيولوجية، اجتماعية وثقافية تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات، وهذا ما يؤكّد أنّ المرض والعلاج النفسي يتأثّران بدرجة كبيرة بالمضمون الثقافي والاجتماعي للمجتمع وبالممارسات الصحية السّائدة به، وذلك رغم التطوّر الكبير للمعارف حول سلوك الفرد في حالتي السواء والمرض، وقد رافق هذا التحوّل ظهور عدّة تقنيات واتجاهات علاجية.

الكلمات الدالة: العلاج النفسي، الممارسة العلمية، الممارسات الدينية، الأنثروبولوجية الدينية والثقافية للمرض النفسي.

Abstract:

Psychotherapy is one of the topics that many anthropologists have been interested in, due to the close relationship between mental illness and societal factors on the one hand, and cultural and religious factors on the other, because psychotherapy first passed through what is called folk medicine, which includes a number of beliefs, rituals and practices. The treatment and mental illness, the latter, which has several biological, social and cultural concepts that differ in different

* **المؤلف المرسل:** بن عامر زكية، **الايميل:** zakiya.benameur@univ.Saida.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

societies and cultures, and this confirms that illness and psychotherapy are greatly affected by the cultural and social content of society and the prevailing health practices in it, despite the great development of knowledge about the behavior of the individual in my case. Whether or not disease, this transformation was accompanied by the emergence of several techniques and treatment trends.
Keywords: psychotherapy; scientific practice; folk medicine; anthropology of mental illness.

مقدمة:

عرف العلاج النفسي تطوّرا كبيرا عبر التاريخ، وفي حقيقة الأمر لا نستطيع التطرق للطرق العلاجية الحديثة بدون العودة إلى الممارسات العلاجية التي زاولها الإنسان البدائي، وهذا ليس فقط لإبراز المراحل أو الكيفية التي تطوّرت بها أساليب العلاج النفسي، وللأثر الذي تدين به هذه الأساليب المعاصرة للطرق القديمة، وإنّما لما نلاحظه حاليا من الاستمرار في ممارسة بعض الطرق العلاجية القديمة إلى يومنا هذا.

ومن المؤكد أنّ ممارسة العلاج النفسي ترجع إلى عصور قديمة، حيث استعملت الشعوب والأقوام البدائية عدّة وسائل علاجية حيث انتقلت هذه الوسائل عبر تاريخها الطويل، وأصبحت متوارثة من جيل لآخر بدون تغيير أو تبديل.

وفي هذا الإطار، فإنّ دراسة وفهم الطرق العلاجية قديما أو حديثا مرتبط أساسا بتطوّر مفهوم المرض النفسي، حيث كان الإنسان القديم يأخذ بمبدأ الوحدة السببية في تفسير المرض جسميا كان أو نفسيا، وهناك من يؤكّد أنّ الحاجة إلى تعريف العلاج النفسي تولّدت فقط عندما حاول الطبّ تقسيم الأمراض إلى نفسية وأخرى جسمية، حيث الطبيب للمرض الجسمي والكاهن أو الفيلسوف لمرض الروح، ولقد كانت هذه التجربة سببا في ابتعاد ولفترة المرض النفسي عن المجال الطبّي، ممّا فسح المجال لظهور عدّة أساليب علاجية بدائية مبنية على التأويل، التضليل والشعوذة وسيطرة المؤسسة الكهنوتية، والتي تتّسم بالطابع الروحاني المستمدّ من المعتقدات الدينية التي يؤمن بها المريض ومجتمعه، فاستعملت العديد من الطقوس والمراسيم في العملية العلاجية، كاستعمال الرقص والمواد والروائح والأبخرة القويّة أو فتح ثقوب في الجمجمة أو ما يسمّى بـ "التبرئة"، أو تجويع المريض، بهدف إجبار الأرواح الشريرة على ترك جسمه، ومن هذه الوسائل أيضا محاولة امتصاص الروح السّاكنة عن طريق الفم، أو باستعمال ما يشبه الأنبوب أو القصبة، أو على العكس محاولة المعالج إعادة الروح الغائبة وردّها إلى صاحبها (كمال، 1994، ص81).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بل ومن المصادر المتوافرة، أنّ هذه الشعوب تشاركت مع المجتمعات البدائية في نظرتهم للمرض والعلاج النفسي، ولعلّ مآثر العرب في هذا الميدانبرزت مع دخول الإسلام إلى المجتمع العربي الجاهلي، ولعلّ من أهمّ الأسماء التي تركت أثرا ومساهمات في تاريخ الطبّ والحياة النفسية، الرازي، وابن سينا، ثمّ وبعدها ومع تطوّر مفهوم الأمراض النفسية في عصر النهضة العلمية والطبية الحديثة، اتجهت البحوث إلى الكشف عن أسباب الأمراض النفسية، ووضع تصنيفات لها، وهذا ما أدّى إلى ظهور عدّة مدارس واتجاهات علاجية، حيث لا تزال هذه المدارس في تطوّر مستمر، والذي أدّى بدوره إلى تطوير العديد من التقنيات العلاجية.

وخلاصة القول، نستنتج أنّ العلاج النفسي منذ ظهوره إلى يومنا هذا تأثر كبيرا بالمنظومة الثقافية والعلاجية للمجتمع والممارسات الصحية السائدة به، حيث لا يزال العديد من الأفراد بمختلف مستوياتهم الثقافية الاجتماعية والاقتصادية يلجؤون إلى ما يسمّى بالطبّ الشعبي.

واستنادا لما سبق ذكره، سنحاول من خلال هذا المقال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- هل تخلص العلاج النفسي من أساليبه البدائية؟
- لما يلجأ الكثير من المرضى في مجتمعنا إلى الطب الشعبي بدلا من العلاج النفسي؟

وللتوسع أكثر في جوانب ومتغيرات هذا المقال سنتطرّق فيما يلي إلى بعض العناصر المتربطة به.

أولاً: التطور التاريخ للعلاج النفسي:

لقد مرّ العلاج النفسي بتاريخ طويل، وشهد تطوّرا مستمرّا عبر العصور، كما اختلفت أساليبه وتقنياته باختلاف التوجّهات والأفكار الإيديولوجية التي تبنّاها كل علاج، ويمكن تلخيص أهمّ معالم هذا التطوّر فيما يلي:

1- في العصور القديمة: فسّرت الأمراض النفسية والعقلية خلال خذا العصر من خلال تأثير القوى فوق الطبيعية، حيث أرجعت إلى غضب الآلهة وتأثير أرواح الموتى، فاستعمل السّحر والشعوذة للقضاء عليها، أمّا العرب فقد عالجوا مرضاهم في هذه الفترة الزمنية عن طريق الكيّ بالنّار لاعتقادهم كغيرهم من الشعوب بوجود أرواح شريرة تسكن جسم الإنسان فاستعانوا بالسحرة، المشعوذين والرقاة، وقد كان ينظر إلى المرض العقلي في هذه الفترة وحتى في العصور الوسطى بانّه ظاهرة تجريبية، تقترن بحالة من الشذوذ والانحراف،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تستوجب من المجتمع اتخاذ إجراءات أمن ضدّهم، وبالتالي التعامل مع هؤلاء المرضى العقليين بالإقصاء، الحبس أو تحديد الإقامة وغير ذلك من أساليب الدّفاع والتحصين (غانم ، 2008، ص43).

2– خلال العصور الوسطى: تعرف هذه المرحلة بأنّها أشدّ المراحل ظلمة وقسوة ضدّ المرضى العقليين، كما ارتبطت بسيطرة رجال الكنيسة على جميع مجالات الحياة، أمّا عند العرب المسلمين، فقد برزت أعمال العالم والطبيب ابن سينا (980–1037م)، وهو المؤسس الأول للطب السيكوماتي، في بيان لعلاقة الأمراض الجسمية كاستجابة للاضطرابات النفسية، وللتذكير أيضا أنّه أوّل من استعمال التحليل النفسي في علاج مرضاه، وقد كان يشير لمرضاه بالزواج من أجل توجيه طاقاتهم الجنسية توجيها سلميّا (ملحم، 2001، ص51).

وللتذكير، فقد تحدّث أيضا عن دور الوراثة وأثرها في المرض العقلي دون أن يهمل تأثي البيئة كعامل مهمّ في الإصابة بالاضطرابات النفسية، وعارض فكرة عزل المريض في السجون، ونادى مقابل ذلك بإقامة المصحّات النفسية من أجل العلاج النفسي، الجسمي والعقلي، ولم يعزل بين أيّ من هذه الأمراض لاقتناعه بأنّها ترتبط فيما بينها (شحاتة ربيع، 1986، ص57).

كما استخدم ابنا سينا الأدوية والعقاقير وبعض الوسائل الأخرى في العلاج كالاسترخاء والحمامات.

ولم تبرز في هذه الفترة عند العرب والمسلمين أعمال ابن سينا فقط، بل برزت أيضا إسهامات ابن رشيد، والذي صنّف بين الأمراض العقلية الحادّة والمزمنة، ومن أهمّ أفكار هذا المفكّر الإسلامي رفضه للتفسير القائم على الوراثة كسبب رئيسي للمرض العقلي، وبالمقابل إبراز أهمية العوامل البيئية في ذلك، وأنّ العلاج لابدّ أن يقوم على تغيير هذه الأخيرة كأسلوب علاجي.

وعلى العموم، وفيما يخص الحضارة الإسلامية، فقد انتقل أقدم أطبّائها لمرحلة "التنظير" والتأسيس للطب النفسي من خلال عدّة كتابات، ككتابات عيسى حكم البصري والطبري، حنين ابن إسحاق، وكتابات تياذوق، وغيرهم (حربي، 2011، ص96)، كما عالج الرازي العديد من الأمراض النفسية العقلية والعصبية، التي عجز سابقوه عن علاجها، ومن أبرز طرقه العلاجية النفسية، استعماله للتحليل النفسي قبل أنصاره المحدثين بحوالي ألف سنة، كما تنبّه إلى ما يسمّى حاليا بالأمراض النفسجسمية، وهي موضوع اختمام أحدث فروع الطب (حربي، 2011، ص97).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما يعدّ الطبيب جبرائيل بن بختيشوع أوّل من استخدم بما يعرف حاليا بالعلاج السلوكي، الذي يهتمّ في أبسط حالاته بعلاج العرض، حيث استخدم الفعل المنعكس الذي لا يصدر عن المخ، وإنّما عن النخاع الشوكي، وبالتالي لا يخضع للتفكير الرمزي (حربي، 2011، ص98).

3– خلال عصر النهضة الأوروبية: رغم ما شهده هذا العصر من تطوّرات علمية مذهلة، وظهور اختراعات عديدة إلاّ أنّ علم النفس المرضي والعلاجي ظلّ بعيدا نوعا ما عن ذلك، وقد عانى المرضى العقليون حتى في هذه الفترة من الاضطهاد والقسوة، لكن حقيقة ورغم ذلك ظهور بعض التغيير في نظرة المجتمع الأوروبي لهؤلاء، فظهر العديد من العلماء الذين عارضوا الأفكار السلبية السابقة التي تبنّتها مجتمعاتهم حول هؤلاء الأفراد، ومن أمثالهم باراسيلسوس Paracelsus الواضع لنظرية المغناطيسية الجسمية، والتي قامت عليها فيما بعد عملية التنويم المغناطيسي (شحاتة ربيع، 1986، ص49).

وانطلاقا من ذلك نشأ التحليل النفسي على يد شاركو Charcot والذي حقّق نجاحا باهرا في العلاج العصبي لدى الحالات الهستيرية بمستشفى سالبتريير Salpetrier، وقد طوّر هذا الأسلوب سيغموند فريد Sigmund Freud، فرغم الانتقادات التي تلقّتها هذه المدرسة العلاجية، إلاّ أنّها تبقى القاعدة التي هيأت لبروز أساليب علاجية أخرى.

وعلى العموم، ظهر العلاج النفسي في عصر النهضة بشكل علمي مقبول، لأنّه تبنّى القواعد الأساسية للعلم الحديث المبنيّة على التجربة، الملاحظة والقياس، وبالتالي ابتعاده عن الدين والفلسفة، وهنا ظهر العلاج السلوكي والذي ارتبط بنظريات التعلم ونتائجها، ومن روّاده واطسون Watson، إضافة إلى العلاج المعرفي بريادة أرون بيك Aron Beck، والذي يعتمد على تصحيح الأفكار الخاطئة، ثمّ ظهر اتجاه معاصر يجمع بين الاتجاهين السابقين وسمّي بالعلاج المعرفي السلوكي، ومن أهمّ روّاده ألبرت أليس Albert Ellis والذي طوّر أسلوبا علاجيا أطلق عليه اسم العلاج العقلاني – الانفعالي، إضافة إلى طرق علاجية أخرى نذكر منها: العلاج القائم على الإلتزام والقبول، العلاج الجدلي، العلاج القائم على التنشيط السلوكي وغيرها.

كما ظهر اتجاه علاجي آخر سمي بالاتجاه الإنساني أو المتمركز حول العميل بزعامة كارل روجرز Carl Rogers، والاتجاه النسقي الذي أعطى أهمية للتنظيم العائلي.

ثانياً: تعريف العلاج النفسي:

من التعاريف الأولية التي أسندت لمفهوم العلاج النفسي أنّه "مداواة النفس" أي النفس المضطربة بأساليب ومناهج مختلفة، من أهّها الاتصال اللّفظي، ويؤدي العلاج إلى التأثير في نفس المريض وعقله معا وفي سلوكه (محمد العيسوي ، 1993، ص160).

كما تعرف العملية العلاجية بأنّها مجموعة من الخطوات والمراحل المتتالية التي يتبعها المعالج النفسي أو الأخصائي النفسي المؤهل في إطار علاقة تفاعلية بينه وبين المفحوص الذي يعاني من اضطراب نفسي، قصد مساعدته على الاستبصار بذاته وتنمية قدراته واستغلالها لتحقيق التوافق مع ذاته ومحيطه.

ويقصد كذلك بالعلاج النفسي بأنّه: "منهج لعلاج الأمراض العقلية عن طريق الوسائل النفسية" (موسى، 2013، ص08)، أي أنّه يعتمد على استخدام تقنيات سيكولوجية بحتة دون استخدام العقاقير أو الجراحة أو غيرها لعلاج أمراض أو اضطرابات ذات صبغة انفعالية تؤثر في سلوك المريض، وفيه يقوم المعالج على إزالة الأعراض المرضية التي يعاني منها، أو تعديلها أو تعطيل أثرها، قصد تحقيق أفضل مستوى ممكن من التوافق النفسي، والتمتع بالصحة النفسية، وعليه فالعلاج النفسي عبارة عن: "نوع من العلاج المتخصص تستخدم فيه طرق وأساليب نفسية لعلاج المشكلات أو الاضطرابات أو الأمراض نفسية المنشأ" (موسى، 2013، ص08)، ومن المؤكد أنّه من يقوم بهذا انوع من العلاج مختصون أو معالجون نفسانيون ينتمون إلى مدارس علمية مختلفة الإيديولوجيات، والذين يعملون على إقامة علاقة ذات طابع مهني مع المريض، في عيادات نفسية، تحكمها مجموعة من الضوابط والأخلاقيات المؤسسة على سريّة البيانات والمعلومات، إضافة إلى محدودية العلاقة التي تجمعهما، والمحكومة بالمعايير والقيم الأخلاقية، وعامة ما تتكوّن العملية العلاجية من ثلاث مراحل متتالية ومترابطة حدّدها سامي (2001) فيما يلي:

- الدراسة: وفيها تتمّ تهيئة مكان العلاج وجمع البيانات عن الحالة وتحليلها.
- التشخيص: وتشمل تحديد أساليب العلاج المناسبة للحالة.
- العلاج: وفيها يتمّ تحديد أساليب العلاج المناسبة للحالة وممارستها والمتابعة والتقويم على ضوء الاقتراب من تحقيق أهداف العلاج (ملحم، 2001، ص349).

كما أنّه لا يمكن التطرّق لمفهوم العلاج النفسي سواء في صورته المعاصرة أو بأساليبه القديمة والتي أبدع فيها الإنسان البدائي، دون التطرّق لمفهوم وصورة المرض في المجتمع، حيث أنّ هناك علاقة وثيقة بين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأساليب المستعملة وبين المعتقدات الدينية السائدة في ذلك المجتمع أو ما يسمّى بالطب الشعبي، والذي ربط بين الصحّة والمرض في إطار ثقافي–اجتماعي، وهنا ظهر فرع من فروع الأنتروبولوجيا الطبية، فما هو هذا الفرع، وما هي أسسه؟

إنّه، ومن خلال قراءتنا لتاريخ تطور مفهوم المرض والعلاج عند الإنسان، فقد اهتمّت حضارات قديمة كثيرة في مختلف بقاع الأرض، كالقدماء المصريين الذي يُعتبرون من الأوائل الذين اهتموا بعلوم العقاقير والتطبيب والتحنيط، وقد سجلوا على جدران وحوائط المعابد والمقابر أهمّ الأمراض وأعراضها وطرق علاجها، كما ازدهرت الثقافة الطبية والعلاج الشعبي في منطقة جنوب شرق آسيا في كل من الصين والهند، حيث اكتشفت بعض ألواح الخزف والفخار والخشب والمدوّن عليها أهمّ الأمراض والنباتات الطبية المستخدمة لشفاء الأعراض وإزالة الآلام، كما تزامنت تلك الاكتشافات مع ما تمّ اكتشافه أثناء حكم الآشوريين والبابليين في بلاد الرافدين، والذي يؤكد على مدى الاهتمام بالمعرفة الطبية الشعبية، وعلى مدى انتشارها بين الحضارات. أمّا في أوروبا فقد ظهر العديد من العلماء والحكماء خلال النهضة اليونانية، وعلى رأسهم أبوقراط وأرسطو، والعالم الطبيب تيوفراست، والمؤلف لكتاب التاريخ الطبي المحتوي على 500 نبات طبيعي (عوض إبراهيم و هندومة، 2011، ص09).

هذا طبعا، دون أ نغفل عن مساهمات العديد من العلماء المسلمين في مجال الطب العربي الإسلامي، ومن أبرز من اهتمّ بهذا المجال وكما ورد سابقا أبحاث محمد أبو بكر الرازي والعالم ابن سينا.

ولعلّه من المفيد أن نذكر، أنّ العصور القديمة عرفت اهتماما كبيرا بالجوانب السوسيوثقافية للمرض، وهذا ما انعكس على الممارسات العلاجية، والتي أصبح كل مجتمع مؤمن بها، لأنّها في اتّصال وثيق بعقائده وإرثه الثقافي الديني والاجتماعي.

وفي هذا الصدد عرّف هيلمان Helman الأنثروبولوجيا الطبية بأنّها تهتمّ بكيفية تفسير الناس في مختلف الثقافات والجماعات الاجتماعية لأسباب المرض، وأنواع العلاجات التي يعتقدون فيها، وإلى من يرجعون إذا مرضوا، وهي تدرس كيفية ارتباط هذه المعتقدات والممارسات بالتغيرات البيولوجية والفسيلوجية التي تحدث في الكائن البشري في حالة الصحة والمرض (هندومة، 2016، ص08).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما عرّفها تاب وهوستراتر Tapp-Hochstraster على أنّها فرع من فروع الأنثروبولوجيا، والتي تهتمّ بالجوانب الثقافية والاجتماعية للإنسان، وارتباطها بالصحة والمرض والعلاج (هندومة، 2016، ص07).

أمّا لاندي Landy، فقد عرّفها بأنّها: دراسة الظواهر البشرية مع المرض والإعياء والترتيبات التكيفية (الأدوية والنظم الطبية)، التي تصنعها الجماعات البشرية للتعامل مع هذه الأخطار الدائمة والتي تصيب جميع البشر (هندومة، 2016، ص07).

وتأسيسا على ذلك، فإنّنا نستنتج الارتباط الوثيق بين موضوع الطب الشعبي ومفهوم المرض من جهة وموضوع العلاج من جهة أخرى، لأنّ هذا الميدان – ونقصد ميدان الطب الشعبي – يضمّ العديد من المعتقدات والمأثرات الخاصة بالصحة والمرض، ووفقا لذلك أصبح مفهوم المرض نسبي يختلف من مجتمع لآخر، ومن ثقافة لأخرى، فهو مرتبط بالنسق الاجتماعي والثقافي للمجتمعات، فما هو مفهوم المرض وكيف تطوّر؟

في حقيقة الأمر، وكما ورد سابقا، فقد تعدّدت المفاهيم المرتبطة بالمرض، فهناك المفهوم الثقافي، فلكلّ ثقافة تفسيراتها ومعتقداتها الخاصة بها والتي لها دور في إدراك الفرد لمرضه، وردود أفعاله اتجاهه، فإمّا أن يذهب للطبيب أو المعالج النفسي أو إلى الساحر أو الراقي، كما هو سائد في مجتمعنا، وهنا يؤكد فوستر Foster، أنّ تقييم المريض وسلوكه اتجاه مرضه يختلف باختلاف الخلفية الثقافية والاجتماعية (هندومة، 2016، ص45).

كما أنّ للمرض رمزية اجتماعية،و هنا يركز يونغ Yung على الخاصيات أو التفاصيل الاجتماعية للمرض والشفاء، وأنّ المحتوى العلاجي عادة ما يكون متضمنا للمحتوى الاجتماعي، حيث أنّ المرض ليس مجرّد اضطراب بيولوجي يصيب الجسم أو العقل، ولكنّه يمثل أزمة اجتماعية تتطلب إعادة التوافق مع تنظيم الجماعة ككلّ. وهنا ظهر الطب الشعبي كممارسة علاجية سائدة في العديد من المجتمعات، فما هو هذا الطب وما هي أهمّ وسائله؟

ثالثاً: تعريف الطب الشعبي:

من خلال تطرّقتنا لتطوّر العلاج النفسي عبر عدّة مجتمعات، لاحظنا أنّ الطب الشعبي ساد ولا يزال يسود عدّة مجتمعات سواء متقدمة أو حتى المتخلفة منها، فهو مجموعة من الممارسات والطقوس التي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يمارسها أفراد المجتمع، والمتوارثة من جيل لآخر، فهي تنبع من السياق الثقافي الشعبي. وهنا يرى الباحث الصيني تويلي فيري T. Ferry أنّ الطب الشعبي هو مجموعة من الأفكار والمناهج التي رفضتها الممارسة العلمية، ورفضها الباحثون والممارسون المتخصصون، ويتضمن الطب الشعبي بعض الأفكار الدينية، وبعض الممارسات والطقوس، وبعض هذه الممارسات ترجع إلى حقبات أو فترات قديمة، كما أنّ جزءا منها قد انتقل شفاهة عن طريق بعض الأشخاص مثل القساوسة أو السيدات كبيرات السنّ، وجزء آخر مدونا في بعض الكتب القديمة الخاصة بالتراث (هندومة، 2016، ص159).

أمّا في مجتمعنا، فمن أهمّ الأساليب المستعملة في علاج المرض النفسي هناك الرقية الشرعية، كما يلجأ العديد إلى طرق الشعوذة أو ما يسمّى بالسّعر وهي طرق أساسية في العلاج ولهذا سنتطرّق إليها في هذا المقال ولو باختصار:

رابعاً: العلاج بالرقية الشرعية:

تعرف الرقية الشرعية لغة: على أنّها العودة وجمع رقى واسترقاه فرقاه يرقيه رقية بالضمّ فهو راق (أبو مالك، 2004، ص09).

أمّا اصطلاحا: فهي ألفاظ خاصة يحدث بسببها الشفاء من الأسقام والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى عربي ما يحدث ضرر، بل يقال على ذلك سحر وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية (بن علي الحبيب ، 2004، ص55).

وهي أيضا مجموعة من الأدعية والآيات القرآنية وتوظيف أسماء الله لطلب الشفاء.

ومن أهمّ شروط الرقية الشرعية أن تكون باللغة العربية أو بما يفهم معناه، كما يجب أن تكون من كتاب الله وبأسمائه وصفاته، وبما ورد من تعويذات نبوية أو أدعية، وهذه الشروط هي بمثابة القواعد الثابتة لإيجاد الأثر الإيجابي والفعّال في المعالجة والشفاء بإذن الله تعالى (فحلة ، 1995، ص142).

ولقد ارتبط كثيرا المرض النفسي بالرقية الشرعية، ذلك لأنّ أعراضه تشبه وتتداخل إلى حدّ كبير مع ما يسمّى في الشريعة الإسلامية بالمسّ بالجنّ، ولهذا فإنّ المريض النفسي كثيرا ما يعرض على الراقي أوّلا فإن لن تحقق النتيجة من الرقية توجّه بعد ذلك إلى الطبيب النفسي.

ومن الأساليب الشعبية العلاجية التي سادت ولا تزال تسود مجتمعنا إلى يومنا هذا هي الشعائر ذات الطابع السحري ومن أكثرها استعمالا الأحجبة وحمل المصاحف الصغيرة، إضافة إلى زيارة الأضرحة وتقديم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

القرابين لإرضاء أرواح الجنّ (الأسياد) التي تسكن جسد المريض (عباس إبراهيم، 2008، ص215). إضافة طبعا إلى أساليب أخرى والمستعملة إلى يومنا هذا كالكيّ واستعمال النباتات والأعشاب وغيرها.

وكخلاصة لما سبق، نستنتج أنّ الطب الشعبي ارتبط بمحورين أساسيين هما الدين والسحر ضمن نسق إيديولوجي مبنيّ على مجموعة من المعتقدات، ورغم الارتباط الكبير بين الدين والسحر أنثروبولوجيا، فإنّ دوركايم Emile Durkheim يرى أنّ الطقوس والشعائر الدينية هي تلك التي تتعلّق بالأشياء المقدسة، بشرط أن تمارس تلك الطقوس والشعائر على المستوى الجماعي، وذلك بعكس الشعائر والطقوس والممارسات الفردية فإنّها تدخل في مجال السحر (هندومة، 2016، ص187).

وتأسيسا على ما سبق، تمّ طرح أو صياغة التساؤلات الأساسية السابقة الذكر المقدمة، والتي جاءت كما يلي:

- هل تخلص العلاج النفسي من أساليبه البدائية؟
- ولما يلجأ الكثير من المرضى في مجتمعنا إلى الطب الشعبي بدلا من العلاج النفسي؟

وللإجابة عن ما سبق، وبناء على ورد من عناصر سابقة، نستخلص أنّ المرض النفسي والعلاج، مفهومان متصلان، فهما يتأثران بموضوعات عديدة أهمّها: الثقافة، الدين والبناء المجتمعي، ومن الصعب تحديد مفهوم موحّد لهما، فمفهوم أفراد المجتمع الواحد للمرض النفسي والعلاج مرتبط بثقافتهم ودينهم، وربّما يختلف في كثير من الأحيان عن المفهوم العلمي، فالثقافة المتوارثة والقواعد الدينية التي تحكم المجتمع، هي التي تحدّد إدراكه لهذا المرض وكيفية التخلص منه، فممّا لا شكّ فيه، والواقع يؤكد ذلك، أنّ المريض النفسي في مجتمعنا يلجأ أوّلا، ودون تفكير في العلاج بأحد الأساليب التقليدية، رغم خطورتها في بعض الأحيان كالحرق أو تناول بعض المواد أو الأعشاب التي لا يعرف مصدرها، أو حتى يلجأ إلى رجل دين أو ما يسمّى بالشيخ أو الرّاقي للعلاج، أو حتى في بعض الأحيان قد يعتمد على مشعوذ، وإقامة بعض الشعائر والطقوس السحرية الخاصة لعلاجه.

ومن المؤكد أنّ هناك فئة كبيرة من المجتمع، من يلجأ إلى الطب الشعبي، فأصبح طبّ العامة من الناس، باختلاف مستوياتهم الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية، فهم يثقون في قدرات الطبيب الشعبي، الراقي أو الساحر، أكثر من ثقتهم في قدرات الطبيب أو المختص الأكاديمي،، وذلك لتمسّكهم بممارسات الأجداد، النابعة من الثقافة الصحية المحلية بالمقارنة مع المفاهيم العلاجية الحديثة، إضافة إلى الصورة التي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

صنعها المجتمع عن المعالج النفسي، على أنّه يهتمّ فقط بحالات مرضية عويصة لا علاج لها، والخوف من الوصمة الاجتماعية، والابتعاد عن تسمية بما هو سائد من مصطلحات "كالمهبول"، فقد ترسّخت في مجتمعنا هذه الصورة وهذا المفهوم وهذا ما يؤكد فكرتنا السابقة على أنّ المرض والعلاج النفسي يندرجان ضمن سياق ثقافي – اجتماعي، والتي يرتبط ارتباطا وثيقا بأهمّ العوامل التي تؤدي إلى العزوف للذهاب إلى المعالج النفسي وبالثقة بالمعالج الشعبي.

إنّه من الرغم، أنّ العلاجات النفسية عرفت تطورا هائلا من حيث تعدّد تقنياها أو نتائجها، إلاّ أنّ الطب الشعبي لا يزال يزاحم هذه العلاجات ولكنّه ومن جهة معاكسة فقد أثبت هذا الأخير كفاءته في علاج العديد من العلل.

وهنا ظهرت إسهامات العديد من الأنثروبولوجيين المعاصرين، من بينهم بنجامين بول Benjamin Paul في هذا المجال والذي ألّف كتابا بعنوان "ثقافة الصحّة والمجتمع المحلي" (عوض إبراهيم و هندومة، 2011، ص12)، والذي أكّد من خلاله على ضرورة الاهتمام بالعوامل المشتركة بين العلوم الاجتماعية والصحيّة.

خاتمة:

شهد العلاج النفسي منذ تأسيسه العديد من التحولات والتطورات، فقد تنوّعت أساليبه وتقنياته عبر عصور التاريخ المتعاقبة، والمؤكد أنّ هذه الأساليب تأثرت بالنسق الأنثروبولوجي للمجتمعات، والمتضمن أساسا الأطر الثقافية والدينية السائدة في المجتمع، والتي لا يزال بعضها متوارثا إلى يومنا هذا، فأصبح الطب الشعبي، طب العامة، وأصبح يمثل مدخلا مهمّا في تحليل العلاقة الجدلية بين الصحّة، المرض والمجتمع، وقد مثّل ذلك محورا هامّا من محاور الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، رغم تطور العلاج النفسي في شقه العلمي أو الأكاديمي، بظهور عدّة اتجاهات ومدارس حديثة في تفسير السلوك المرضي والسويّ للفرد، وبالتالي تطوّر التقنيات العلاجية المبنيّة على التجريب والقياس، وهذا ما أثّر إيجابا على استحداث اتجاه علمي يختصّ بتطوير برامج خاصة بالصحة العامة، والتي تبحث في أسباب المرض، وطرق العلاج ضمن حدودهما المجتمعية وبالأخص المحلية، ودراسة تأثير كلّ من العوامل السوسيوثقافية والدينية في تبنّي أفراد مجتمع معيّن لأساليب علاجية سواء الحديثة أو التقليدية منها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المراجع:

1. حسن العربي أبو مالك. (2004). *الرقية بين الانضباط الشرعي والتسيّب في الممارسات*. الجزائر: دار النجاح للكتاب.
2. حسن رمضان فحلة . (1995). *التداوي بالقرآن*. الجزائر: دار الهدى.
3. خالد حربي. (2011). *الطب النفسي في الحضارة الإسلامية، تنظير وتأسيس وإبداع*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
4. رشاد علي عبد العزيز موسى. (2013). *مديحة منصور سليم الدسوقي* (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.
5. سامي محمد ملحم. (2001). *الإرشاد والعلاج النفسي، الأسس النظرية والتطبيقية* (الإصدار 1). عمان، الأردن.: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة.
6. طارق بن علي الحبيب . (2004). *العلاج النفسي والعلاج بالقرآن، رؤية طبية نفسية شرعية*. القاهرة، مصر.: مؤسسة طيبة.
7. عبد الفتاح محمد العيسوي . (1993). *تاريخ الطب النفسي عند العلماء المسلمين*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
8. علي كمال. (1994). *العلاج النفسي قديما وحديثا* (الإصدار 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
9. محمد أنور حامد هندومة. (2016). *الأنثروبولوجيا الطبية*. الإسكندرية، مصر.: دار المعرفة الجامعية.
10. محمد حسن غانم . (2008). *العلاج النفسي* (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة مدبولي.
11. محمد شحاتة ربيع. (1986). *تاريخ علم النفس ومدارسه*. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع.
12. محمد عباس إبراهيم. (2008). *مدخل إلى الأنثروبولوجيا*. مصر: دار المعرفة الجامعية.
13. مصطفى عوض إبراهيم، و محمد أنور حامد هندومة. (2011). *مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبية*. الإسكندرية، مصر.: دار المعرفة الجامعية.